الطفل الداعية

من إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الدعوة والإرشاد الديني
قسم الإرشاد الديني
www.islam.gov.qa

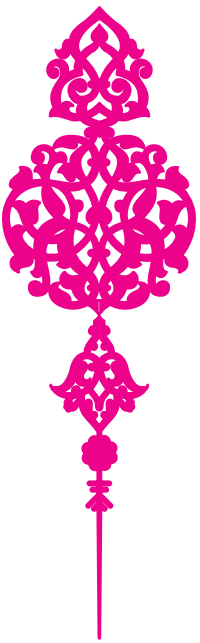

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

أوقاف
AWQAF
الإدارة العامة للأوقاف
General Directorate Of Endowments

تعريف بـ..
الإدارة العامة للأوقاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مما لا شك فيه أن **نظام الوقف في الإسلام** قد أدى دوراً بارزاً في إقامة مجتمع إسلامي حضاري يُحتذى به، تجلت فيه روح الأخوة الإسلامية التي تأسست على المبدأ النبوي المبارك : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً » رواه مسلم.

وقد ساهمت **«الأوقاف»** في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي على تثبيت الدين في نفوس المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، وضمان استمرار مسيرتها في البذل والعطاء.

وجاءت النصوص الشرعية لتؤكد على دور الوقف وأهميته في حياة الأمة منها: قوله تعالى :﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

وتعد الإدارة العامة للأوقاف في الواقع الفعلي من أقدم المؤسسات المدنية في دولة قطر بالنظر إلى الحجج الوقفية المسجلة منذ العقود الأولى من القرن الماضي حيث ارتبطت بالقضاء الشرعي لأسباب تتعلق بالإنشاء والمنازعة والإدارة.

أهداف الإدارة العامة للأوقاف:

- إدارة شؤون الأوقاف والإشراف عليها وتنظيمها .
- استثمار أموال الأوقاف وتطويرها وتنمية إيراداتها على أسس اقتصادية.
- الإشراف على الأموال الموصى أو المتبرع بها لمصرف من مصارف البر.
- العمل على تشجيع وقف الأموال على جهات البر وتوسيع نطاق الأوقاف الخيرية.
- إقامة المساجد والترخيص بها حسب احتياجات المناطق المختلفة، والعمل على صيانتها وتأثيثها، والمحافظة عليها ورعاية جميع شؤونها.

اختصاصات المصارف الوقفية :

-إحياء سنة الوقف من خلال تبني مشاريع تنموية للوفاء باحتياجات المجتمع.
- التعريف بالوقف و مشروعاته وتشجيع أهل الخير على وقف أموالهم في أوجه البر المختلفة.
- اقتراح أوجه صرف الأموال الوقفية وتطبيق شروط الواقفين .
- استقبال طلبات المساعدة من الجهات والأفراد وإجراء الدراسات اللازمة لبحثها والبت فيها.
- التعرف على رغبات المتبرعين واحتياجاتهم من المشاريع الوقفية وتوجيههم وإرشادهم إلى المجالات الأولى والأكثر إلحاحا للوقف عليها.
- إدارة البيوت الوقفية الخيرية المجانية .
- تعميق التواصل مع الواقفين وتوثيق العلاقة مع المستفيدين من مشاريع الأوقاف.
- ترويج و تسويق مشاريع الأوقاف من خلال الاستعانة بكافة الوسائل الإعلامية المتاحة.

وأما المصارف الستة فهي:

١- المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢- المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣- المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤- المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

٥- المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦- المصرف الوقفي للبر والتقوى.

وقد هيأ الله لإحياء هذه السنة المباركة رجالاً على **رأس الإدارة العامة للأوقاف**، وذلك بمبادرة ودعم أهل الخير من أبناء هذا البلد الطيب، وأثمرت هذه الجهود المباركة عن تأسيس: «**المصارف الوقفية**» التي ساهمت بجهود طيبة ولا زالت - في دعم الأنشطة والمشروعات الدعوية المتنوعة بالإضافة إلى أوجه البر الأُخرى.

ومن هذه الأنشطة التي دعمتها المصارف الوقفية «**كتيبات قسم الإرشاد الديني**» لذلك يطيب لنا أن نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا للإخوة القائمين على «**المصارف الوقفية - بالإدارة العامة للأوقاف**»، كما يطيب لنا أن نتوجه بالدعوة إلى أهل الخير والعطاء والبذل في سبيل الله سبحانه وتعالى في هذا البلد الطيب المعطاء - أن يبادروا - إلى دعم مشروعات «**المصرف الوقفي للبر والتقوى**» وغيره من المصارف الوقفية الأخرى التي يُشرف عليها ويُديرها **قسم المصارف الوقفية - الإدارة العامة للأوقاف** .بدولة قطر.

وفقكم الله وبارك على طريق الخير خطاكم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الإصدار

الحمدلله الدّاعي إلى دار السلام ، والصلاة والسلام على المبعوث قدوة للأنام، قـام بالدّعـوة إلى الله خـير قيـام ، ورضي الله عـن صحابته الغـرّ الكـرام الذين كانوا مصابيـح الدجى ، ومنابيـع الإصلاح والهدى فأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر وأقاموا علم الشريعة السمحاء .

إن رسالـة الإسلام العظيمـة جاءت رحمة للعالمين ، لتخـرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الحيرة والتيه إلى الرشاد والهدى ، ولقد كان لكل فرد في المجتمع المسلم نصيـب في حمـل مشعـل الدعوة إلى الله في هـذه الأمة ، والإصدار الـذي بين يدينا يبين جانبا مشرقا في حياة أطفال المسلمين وتحملهم الدعوة إلى الله تعالى .

وإننا في إدارة الدعوة والإرشاد الديني إذ نشكر لكل من ساهم في هذه الإصدارات كتابةً ومراجعةً وتصحيحًا ونشرًا ، نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لمرضاته .

كما نتوجه بخالص الشكر إلى جميع المسئولين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على دعمهم الدائم للعمل الدعوي بجميع نشاطاته.

والله نسأل أن يوفق الجميع وأن يبارك على طريق الخير خطاهم ، والحمد لله في البدء والختام .

مُقَدِّمَة

الدّعـوة في الإسـلام رسالـة عظيمـة وجميلـة ، نبتـت بذورها في مكـة المكرمة، وترعرعـت فيهـا ، وبسقـت غصونها الفينانـة في أوّل مدرسـة لَهَا بدَار الأرقـم بن أبي الأرقم المَخْزُومي، حَيْـثُ كَانَ الرَّسُول ﷺ يلتقي بالرّعيل الأوّل هُنَاكَ، فيعلمهم العقيدة الصَّحِيحَة، وينتزع مَا بَقِي في قُلُوبهم من آثَار الوثنية، ويقتلع من نُفُوسهم قدسية الْأَصْنَام ومنزلتها، ويغرس فِيهَا الْإِيمَان بِالْيَوْم الآخر، وَمَا فِيهِ من الْبَعْث والحساب وَالْجنَّة وَالنَّار إِلَى غير ذَلِك من أُصُول العقيدة.

وَقـد تميّزت مدرسة الدّعْوَة بخصائص لم تتوفر لغَيْرهَا، كَانَ لَهَا أكبر الْأَثر على الدعـاة، فخرّجت جيلا ضحـى في سَبِيل الدعْوَة بِمَا يملك من النَّفس وَالْمَال وَالْولد، وَلم يضِـنَّ عَلَيْهَا بِشَـيْء تحْتَاج إِلَيْهِ، كَمَا كَـانَ للجهد الْعَظِيم الَّذي بذلـه الدعاة نتائج هائلة وثمرات جَيِّدَة، وَبِذَلِك أَصبَحت مدرسة الدعْوَة في تِلْكَ الآونة مدرسة فريدة في موضوعها، فريدة في منهاجها، فريدة في نتائجها[1].

وقـد تميّزت الدّعـوة في بداية عهدهـا أن رَبَّتْ دعـاة شبابا صغـارا يحملونها ، ويضحـون من أجلها ، إذ الدّعوة إلى الله ليسـت حملا يحمله الكبار فقط بل شارك فيه الصغـار، والمتأمل في حياة السلف يجد نماذج عظيمة في تحمل الدعوة ونشرها ، فإليك

(١) مدرسة الدعْوَة فَضِيلَة الدكتور مُحَمَّد السَّيِّد الْوَكِيل (٢١٥).

أيهـا الداعيـة الصغير في عمره ، الكبـيرُ برسالته وتحمل هموم أمته هـذه الرسالة التي تحمل في طياتها قصصا واقعية لصغار ضحوا بالنّفس والنّفيس ليكونوا لك قدوة تتأسى بهم بدل بطولات زائفة في أفلام كرتونية ، أو لاعبي كرة شغلت قلوب الكثير وأهواءهم .

فضل الدعوة إلى الله تعالى

إنّ الدّعـوة إلى الله من أفضل العبـادات وأجلّ الطّاعات الموجبة لرضوان الله في الحياة وبعد الممات قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥] ، وقال في شأن نبيه ﷺ : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، وقال منبها إلى مسؤولية الدعوة على كل مسلم: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: (٣٣)].

وإن الداعيـة المسلم إذا دعـا إلى الله وسرت الهداية على يديه كان ذلك خيرا له من الدنيا ومافيها فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «... فوالله لأن يُهْدَى بك رجلٌ واحد خير لك من حمر النعم» [(١)].

إنّها همّ الرّسل والأنبياء وطريق السّعداء الأتقياء، ربّى عليها الصالحون أبناءهم فكانوا في الخير قادة ، وفي القدوة والتربية سادة .

وإن كثيرا من المسلمين اليوم يغفلون عن تربية أولادهم التربية الصحيحة ، ومن أهم تلك الجوانب التربوية جانب الدعوة إلى الله أي : كيف نربي الطفل الداعية ؟ .

الطفل الداعية ليس ملكا قد جبل على الطاعة والعبادة ، وليس شيئا معجزا جاء علـى عالمنـا دون أن يمر بكل ما للطفولة من محاسن ومساوئ إنه طفل ينشأ في بيت يهتم بالتربية الصالحة والقدوة المؤثرة والدعوة إلى الله .

---

(١) البخاري (٢٩٤٢).

يلعب كما يلعب الأطفال ويشبّ كما يشبّون على فطرتهم إلاّ أنّه يَسْتَقِي تعاليمه من دينه ومن أسرته المحافظة، ومن مدرسته الموجِهَة، ومن خلانه الفضلاء، فتنمو شخصيته وتتربّى على حبّ الله ورسوله ، وتنطلق داعية إلى الفضيلة والأخلاق الفاضلة.

إلاّ أنّ كثيرا من المسلمين يهتمون بتعليم أولادهم مظاهر الرقي والرفاهية الحديثة ، في المأكل والمشرب ، في طريقة الجلوس ، في كيفية المشي ، وفي كيفية الكلام فيما يسمونه (فن الإيتيكيت[١]) .

وكثير منهم يهمه في المقام الأول أن يكون ولده نسخه كربونية منه فقد يكون الأب طبيبًا أو مهندسًا، فيكون هدف الأب والأم أن يكون الطفل مثل أبيه أو مثل أمّه . ومنهم من يتطلع إلى شخصية في المجتمع فتعجبه هذه الشخصية سواء في شهرتها ، أو في عملها أو في وجاهتها فيحبّ أن يرى ابنه مثل ما تَطَلَّعَ إليه .

ولكن من المسلمين -والحمد لله- من يُرَبِّي ابنه كداعية ، ونقصد بكون الطفل داعية أن يُرَبَّى الطفل على حبّ الدعوة إلى الله فهي نابعة من محبته لله – عزوجل – ولرسوله – ﷺ فيتمثل الطفل منذ صغره بمهمة الدعوة إلى الله بأن يكون داعية في مظهره ، وفي جوهره ، ترى أثر الدعوة في عباراته ، وفي قسمات وجهه ، في مأكله ، وفي مشربه ، وفي كل أموره"[٢] .

وإن المربي الصالح هو الذي يأخذ بعقل ولده وقلبه فيوقفه على تلك النماذج الرائعة في تاريخ البشرية والتي حملت لواء الدعوة في صغرها ، فدخل الناس في دين الله أفواجا .

---

(١) هو آداب وسلوك تنظم اصول التعامل بين فرد وآخر لها، اسماء مختلفة ،ولكن الهدف واحد، وهوحسن المعاملة،أو الآداب السلوكية، أو كما هو معروف عالميا بكلمة اتيكيت .

(٢) الطفل الداعية حسام العيسوي إبراهيم .

ويبين له صبرهم واجتهادهم في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، يقدم له القدوات السامقة في الدعوة إلى الله دون أن يتضجر أو يمل ، هدفها إرضاء الله وتعبيد الناس له، وشعارها ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

نماذج من الأطفال الدعاة

يوسف الصديق داعية صدق

يوسف الصديق الكريم ابن الكريم ابن الكريم كما قال النبي ﷺ ، يباع من إخوته لقافلة بثمن زهيد ، فتبيعه هي الأخرى إلى صاحب قصر وصولجان ، ومال وجاه كبير ، لم يزل في ريعان طفولته لكنها محمية من الله ليكون داعية رغم ما اجتمع عليه من المغريات والشهوات ، فالقصر فاخر ، والمرأة فاتنة ، وهو في مقتبل الشباب وعنفوان الشهوة ، والخلوة ممكنة ، ولكن أبى إلاّ أن يسير على خطى والده في العفة والدّعوة إلى الله ، ولو استعرضنا قصته كاملة للزمنا إيراد السورة كلها ، ولكن حسبنا لقطات من نافذة القصر لنرى كيف كانت تلك الرحلة الدعوية .

كره المعصية برغم كل المغريات والشهوات ، فقد دعته سيدة القصر ليفعل بها الفاحشة ففر فراره من الأسد الكاسر ، وجاءت التهمة تلاحقه لتقول السيدة لزوجها ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[يوسف: ٢٥]، وهنا يدافع عن نفسه ويقيم شواهد الاعتداء عليه ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ ... ﴾ بل وتأتي الشهادة من قريب لها أن المعتدي هي لا هو ، وهنا يلقنها درسا عظيما يمرِّغ كبريائها ، ويعلو هو بدعوته إلى الله ، فما كان من تلك الظالمة إلا أن تسجنه وهو الشاب اليافع الذي تربى على الطاعة ،وشب على مراقبة الله تعالى ، وهل يملك شاب صغير الدفاع عن نفسه أمام من يملك القضاء والسَّجَّان ، واختار عليه الصلاة والسلام السّجن على شدته وقسوته بدل ذل المعصية وسجنها ، ولم تكتمل الحكاية بوضعه داخل

السجن، ولم يترك مهمة الدعوة جانبا ليستريح من عنائها في السجن، بل استمر في الدعوة إلى التوحيد ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وكانت النهاية أن الله نصره على ظالميه لصبره وتقواه، ودعوته وهداه، فخرج من السجن إلى المُلك على مصر وسجونها وسجانيها، واعترفت المرأة المتغطرسة أنها كانت ظالمة له، جائرة في حقه ،فما أجملَ صبرَ يوسف عليه السلام، ويا صلاحَ عقباه في الدارين ، هكذا أيها الداعية الصغير كن أولا تكون ! .

غلام داعية يُحيي الله به شعبا

من تلك النماذج التي ضربت أعلى الأمثال تضحية في سبيل الدعوة إلى الله تعالى غلام الأخدود، هذا الطفل الذي ذكره الله – عزوجل – نموذجا يتلى إلى يوم القيامة في الصبر والتضحية، والإقدام والبسالة في سبيل الله رغم صغر السن فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه ، لقد سطر الله أمجاده في القرءان وجعله عبرة لكل داعية عبر الأزمان وفي كل مكان ، قرءانا يتلى وذكرا يملأ القلوب إيمانا وثباتا ، في سورة مباركة .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١﴾ [البروج].

إنهـا قصة الغلام العظيم الذي تربّى على التوحيد فأراد أن يدعو إليه غير مبال بمـا سيلحقـه من أذى واضطهـاد وتشريد ، بل وقتل في سبيل دعوتـه إلى الله ، لقد جعل نفسـه وقفـا لدعوة التوحيد ولو فارق رأسه جسده ، نعم أراد أن يموت في سبيل الله تعالى فأحيـا الله بقتلـه شعبا عظيما ، فتعـال معي أيها الولد الحبيب وتعـالي معي أيتها الفتاة الداعية المنيبة، لنسمع القصة من أولها ،وممن لاينطق عن الهوى، بل بوحي من الله الذي شهد القصة وأبطالها، وسطرها في كتابه، وعلى لسان رسوله كاملة ونأخذ عبرتها؛

روى مسلـم في صحيحـه عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ،فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَـا ذَلِـكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيـتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِـي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَـالَ: الْيَوْمَ أَعْلَـمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَـرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْـرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْـرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَـا ، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّـي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْـرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَـى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَـيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ

يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ:

بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ "[1].

العبر والعظات من قصة الغلام

أن الانتصار الحقيقي هو انتصار المبادئ والثبات عليها .

أن النصر ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة .

تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتسليتهم عما أصابهم من أعدائهم.

---

(١) مسلم (٧٣ - (٣٠٠٥).

شرح بعض المفردات : شرح محمد فؤاد عبد الباقي: (الأكمه) الذي خلق أعمى ؛ (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى المنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان ؛ (ذروته) ذروة الجبل أعلاه وهي بضم الذال وكسرها؛ (فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة (قرقور) القرقور السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرا (فانكفأت بهم السفينة) أي انقلبت (صعيد) الصعيد هنا الأرض البارزة (كبد القوس) مقبضها عند الرمي (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد (أفواه السكك) أي أبواب الطرق (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا فأقحموه بالقاف وهذا ظاهر ومعناه اطرحوه فيها كرها ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها من قولهم أحميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى (فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

إعـلام المسلمـين الذين آمنوا برسالة نبيّنا ﷺ ونصـروه بأنّ ما نزل بهم من أذى على يد كفار قريش أو غيرهم قد نزل ما هو أكبر منه بالمؤمنين السّابقين.

أنّ علـى الدعـاة الصّبر كما صـبر أسلافهم، وقد اقتضت سنـة الله سبحانه وتعالى أن يجعل العاقبة للمتقين.

أن الدعـوة ليست مقصورة على الكبار بـل إن الصغار يمكنهم صناعة المجد ، وتبليغ الدعوة في أبهى صورها .

أن تربية الأبناء على التوحيد والتضحية يؤثر أعظم الأثر في المدعوين .

أن الشباب أكثر عزما ومضاء في الدعوة إلى الله ولو كلفهم حياتهم .

الصبر على طلب العلم.

أن الـذي يشفي هو الله وحـده والعلاج بذل سبب فقط وهـذا مأخوذ من قول الغلام (إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله تعالى).

الدعاء مفتاح الفرج وهذا مستنبط من دعاء الغلام ربه بقوله (اللهم اكفنيهم بما شئت).

أن الله ينصـر الدين بالرجل الفاجـر كملك نجران عندما قال : بسم الله رب الغلام ورمى بالسهم فقتل الغلام فآمن الناس بالله.

أن الدعـاة قـد لا يـرون نتائـج أعمالهـم بـل قـد تأتي بعـد وفاتهـم كالغلام وغيرها الكثير.

وفي القصة عبر وعظات كثيرة لايمكن حصرها .

عصر النبوة وتربية الأطفال على الدعوة والجهاد

ها هو النبي ﷺ يربي أطفال المسلمين على أن يكونوا دعاة إلى الله عزّ وجلّ منذ صغر سنهم .

فهـا هو علـي بن أبي طالـب رضي الله عنه أول الأطفـال سباقا في الدخـول إلى الإسلام ويتربـى في حجر النبي ﷺ فيحمل هـمَّ الدّعوة، ويؤدّي الشّعائر وينقـل الأخبار ويوصل الغربـاء إلى رسـول الله ﷺ كما فعل مع أبي ذر في امه مما يدلّ على ذكائه وفطنته ، بل يتحمـل ليلـة الهجرة أن يكون فِدًى لرسول الله ﷺ فينـام في فراشه ويؤدِّي الودائع بعده دون خوف أو وجل ، ودون ضعف أو خيانة ، بل كان شجاعا أمينا رضي الله عنه .

وها هو الزبير بن العوام رضي الله عنه الذي عدله عمر رضي الله عنه بألف فارس، كان ناتج تربية أمـه صفيـة – رضي الله عنهـا – بعد أن مات أبوه وهو صغير، فكانـت تربيه وتعده ليكون بطلا من أبطال الإسلام وإماما في الدعوة إلى الله تعالى .

فعن عروة ابن الزبير، أن الزبير كان طويلاً تَخُطّ رجلاه الأرض إذا ركب الدابة، أَشْعَر، وكانت أمه صفية تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها: قتلتِه، أهلكتِه! قالت:

إنما أضربه لكي يدبّ ويَجُرَّ الجيش ذا الجلب[1]

فماذا كـان بعد ؟ قال الثوري: هؤلاء الثلاثة أحد نجدة الصحابة: حمزة، وعلي، والزبير.

وعـن عروة قال: كان في الزبير ثـلاث ضربات بالسيف: إحداهـن في عاتقه؛ إن كنـتُ لأدخل إصبعي فيها، ضُرب اثنتين يوم بدر، وواحـدة يوم اليرموك [2]. ولا تنسَ أنه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/٤٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٤٥.

ذلك الطفل الذي ربته أمه على تلك المعاني الجسام ، فكبر وصار بطلا من أبطال الإسلام ،وحطم كبرياء كسرى ، وكسر دولة المجوس اللئام .

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعةٍ وثريدِ!

الطموح إلى الدعوة والجهاد

في غزوة أحد لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر، ردَّ سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج فقال سمرة بن جندب لربيبه مرِّي بن سنان: " يا أبت أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردّني وأنا أصرع رافع بن خديج" ، لم يرض هذا الفتى البطل بأن يتخلف مع الصبيان والنساء بل نافح عن مكانته ودافع ليكون وسط الكبار يدعو إلى الله بلسانه وسنانه ، فما كان من مري بن سنان رضي الله عنه إلا أن قال : يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه ، فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة تصارعا فصرع سمرة رافعا، فجاءت الإجازة من رسول الله ﷺ لتمنح سمرة وسام البطولة والفداء ، والتضحية والعطاء ، فأجازه رسول الله ﷺ فشهد أحدا مع المسلمين.

الطفل الداعية الذي صدّقه الله تعالى

إنه زيد بن أرقم رضي الله عنه الذي لم يرض أن تكون أذنه قُمَعًا تُصَبّ فيه كل ألفاظ البذاء والاستهزاء بالدعوة ونبيها ﷺ فلقد كان له السبق في كشف زيف المنافقين رغم صغر سنّه، وكيف تطيب نفس المسلم أن يسمع السخرية والاستهزاء بالدين وتطيب له الحياة ، لقد سمع ماسمع من قول المنافقين وحث بعضهم البعض على عدم النفقة في سبيل الله ليقع النبي ﷺ وأصحابه في ضائقة مالية تحصد أرواحهم وتذهب بدولتهم ،

إضافة إلى زعمهم بأنهم هم الأعزّ ومن سواهم ذليل ، تماما كما يفعل المنافقون والزنادقة اليوم من حصار كل من يحمل شعار الإسلام ومحاربته ، نعم لقد سمع زيد رغم صغر سنّه تلك المقولة التّافهة فشكا ذلك لرسول الله ﷺ ، وكذّب المنافقون ماقال فجاء القرءان يفضح النفاق وأهله ويزكي سمع الشاب وقوله ، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي (بن سلول) ، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصَدَّقه، فأصابني هَمّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كَذَبَكَ رسول الله ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾... إلى أن قال: ... ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

نعم لقد نزلت تلك الآيات في زيد بن أرقم رضي الله عنه ، تصديقاً لهذا المسلم الذي ينتمي للأنصار الذين استقبلوا المهاجرين أفضل استقبال، وقدّموا لهم المال والأنفس، وقد نشأ ابن أرقم في كنف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فرباه أحسن تربية إيمانية، رباه كيف يحمل دعوة الإسلام وينافح عنها من يريدها بسوء ، فلا ترض أيها الداعية الصغير - حامل لواء الإسلام- بمن يطعن فيه أو يستهزئ بنبيه ﷺ وحملته .

الطفل الداعية لسانٌ لِلْحَقِّ

لقد تعلم السلف الصالح من نبيهم ﷺ أن بيان الحق وحمله لايقتصر على الكبار بل إذا كان الطفل فارس الميدان فما على الكبار إلا الإصغاء والإجلال، فها هو عمر بن عبد العزيز تدخل عليه وفود المهنئين من مختلف البلاد وذلك في أول خلافته فيتقدم للكلام من أحد وفودِ الحجاز غلام صغير لم تبلغ سنه إحدى عشرة سنة، فقال له عمر: ارجع وليتقدم من هو أسنّ منك . فقال الغلام : أيد الله أمير المؤمنين . المرء بأصغريه: قلبه ولسانه ،فإذا منح الله العبد لسانا لافظا، وقلبا حافظا ،فقد استحقّ الكلام، ولو أن الأمور - يا أمير المؤمنين -بالسنّ لكان في الأمة من هو أحقّ منك بمجلسك هذا فقرّبه عمر واستمع لحديثه.

الطّفل الداعية نتاج تربية أم صالحة

إنّ أطفالا في الإسلام شبُّوا أيتاما ولم يكن ذلك مانعا لأمهاتهم أن يربينهم على الصلاح والإصلاح ، فغلام كالإمام أحمد تربى في حضن امرأة صالحة يتيما إلا من التربية ، وفقيرا إلا من الصلاح والبر ، يقول عنه المروذي:

قال لي أبو سراج ابن خزيمة: كنت مع أبي عبد الله في الكُتَّاب، فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهنّ.

قال أبو سراج: فقال أبي (وذكره أي ذكر أدب الإمام أحمد وهو صغير) ، وجعل يعجب من أدبه وحُسْن طريقته.

فقال لنا ذات يوم: " أنا أنفق على وُلْدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا، فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج! وجعل يعجب"(١) .

أرأيت إلى هذا الطفل الداعية كيف أثر في الكبار ، وغض بصره عن النساء بالرغم أنه غير مكلف فهل يعي المربون بركة الغضِّ من الصغر فيربوا عليها أبناءهم وبناتهم .

السَّرِّي السَّقَطِي يُؤثِّر في معلمه

إن التوفيق والسداد من الله وإن كثيرا من الأطفال الدعاة هم ثمرة تقوى آبائهم وصلاحهم ، والله لايضيع أجر من أحسن عملا ، فكم من رجل أمّيّ صالح بَرٍّ كريم ، يخاف الله ويرجو لقاءه ، أكرمه الله بسبب صلاحه بذرية تحمل الدعوة إلى الله في أقطار الدنيا ، وكم من عالم خامل منافق يحفظ كثيرا من المتون ، إلا أنه بالدينار والدرهم مفتون، ينشأ في حضنه من يعادي الإسلام ويهدمه .

وصاحبنا السري السقطي تربَّى في أسرة صالحة تأكل الحلال وتعبد رب العزة والجلال ، فقد قرأ القرءان على مؤدبه ، وبدل أن يكون الأستاذ هو المؤثر كان التلميذ أكبر مؤثر عليه فقد روى محمد بن مظفر المكي :قال: بلغني أن السري السقطي قرأ على مؤدبه: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٦] .

فقال: يا أستاذ، ما الورد؟ .

فقال: لا أدري فقرأ: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم: ٨٧].

(١) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص ٤٣ - ٤٤.

فقال: يا أستاذ، ما العهد؟.

قال: لا أدري.

فقطع السري القراءة، وقال: إذا كنت لا تدري، فلم غررت الناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري: يا أستاذ! ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى، فاستحلَّه المؤدب، وتاب إلى الله تعالى، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني الغلام السري من رقّ الجهل[1].

الفتاة الداعية تراقب الله تعالى

لم تعقم أرحام هذه الأمة من إنجاب الناصحين لله ولرسوله وللمسلمين في الجهر والخفاء، الذين يحرصون على مصالح الأمة في كل مناحي حياتها، ولم يقتصر الأمر في ذلك على أولي العضلات المفتولة، بل كان النصح من فتيات صغيرات تربين على حب الله ورسوله والدار الآخرة والنصح للأمة وإمامها ولو كان غائبا عن المشهد، إنها قصة فتاة كان من شأنها أن أكرمها الله بأن يكون من ذريتها خليفة راشد ولعل ذلك بسبب صدقها ودعوتها إلى الحق.

إنها بنت بائعة اللبن وهل أتاك خبرها، قصة فتاة نشأت في مجتمع يوم ربى أبناءه وبناته على خشية الله، فأثّر هذا السِّرّ في حياتهم.

لقد كان من شأن خلفاء الإسلام أن يتفقدوا رعيتهم بالليل، وكان من أجلهم في ذلك العمل الرقابي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقد خرج ليلة يَعُسُّ، ويتفقد أحوال رعيته، وذات ليلة إذ به يسمع هذا الحوار بين الأم وابنتها؛ تقول الأم: يا بنية! أمَزَجْتِ اللّبن بالماء؟ -حتى يكثر ربح هذا البيع.

(١) أنباء نجباء الأبناء (١٩٢-١٩٣) وعنه صلاح الأمة في علو الهمة للعفاني (٩٧/٧).

فتقـول البُنَيَّـةُ : يا أماه! أوَ ما علمت أن أمـير المؤمنين نهى أن يمزج اللبن بالماء؟ فتقول الأم: بقلب المرأة التي غفلت عن ذكر الله وغفلت عن رقابة الله: يا بنية! وما يدري أمير المؤمنين بنا الآن ؟! نعم.

فالـذي يراقب النـاس ، ويخشى النـاس ، ويخاف الناس ، يـرى نفسه في خلوته بعيدا عن الرقباء فهو يشعر أنه لا يعلم عنه أحد، فكأن الأم تقول : فما الذي يُدري أمير المؤمنـين بنا الآن؟!! كانت لحظة غفلة، وضعف إيمـان ، ولكن تأتي الإجابة من قلب تلك الفتـاة الصغيرة البريئة التي تربت على خشية الله، وانظري أختي الكريمة ! كيفية ثمرة التقـوى وخشية الله إذا ربيت صغارك عليهـا، تأتي الإجابة من قلب تلك الفتاة الصغيرة لتقول: يا أمّاه! إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنّ ربّ أمير المؤمنين يرانا.

هكذا هو القلب المتعلق بالله، الذي يراقب الله جل وعلا ، وإن كان صاحبه صغيرا فهو عند الله كبير .

فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الباب ووَسَم الباب بعلامة ليعرفها إذا طلع النهار ، ثم عاد في الصّبـاح وطرق الباب وخطب البنت لابنه عاصـم فتزوجها، وأنجب من تلك السلالة الطاهـرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الرائد الراشد، والشاب المجاهد الذي أعاد الأمة الإسلامية إلى الله في رأس القرن الأول، وهو المجدّد والمجتهد الأول، إنه ابن بائعة اللبن التـي تقول: فـإن لم يعلم عمر أما يعلـم ربّ عمر، هذه مدرسة عمـر مدرسة الرقابة لله تعالى لا النّاس [1].

(١) - انظر قصتها في كتاب صلاح الأمة في علو الهمة (١١١/٧).

الطفل الداعية يقوم اللّيل ويتدبر القرءان

لما تعلم أبو يزيد البسطامي وهو صغير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ [المزمل :١، ٢] ، قال لأبيه : يا أبتي ، من الذي يقول الله تعالى له هذا ؟ قال : يا بني ، ذلك النبي ﷺ .

قال : يا أبتي ، مالك لا تصنع أنت كما صنع النبي ﷺ .

قال : يابني ، إن الله تعالى خص نبيه ﷺ بافتراض قيام الليالي دون أمته . فسكت عنه فلما حفظ قول الله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

قال : يا أبتي ، إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون من اللّيل، فمن هذه الطّائفة؟.

قال له أبوه: أولئك هم الصحابة رضي الله عنهم .

قال : فَلِمَ تَتْرُك ما فعله الصحابة رضي الله عنهم قال : صدقت يابني ، لا أترك ان شاء الله تعالى .

فكان يقوم من اللّيل ويُصَلِّي .

واستيقظ أبو يزيد ليلة ، فإذا أبوه يصلي ،

فقال : علّمني كيف أتطهر و أفعل مثل فعلك ، وأصلّي معك .

فقال له أبوه : يابني ،أرقد فأنك صغير بعد .

قال يا أبت : إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم أقول ربي : إني قلت لأبي : علمني كيف أتطهر لأصلي معك ، فأبى وقال لي : أرقد فإنّك صغير بعد ؟

فما كان من الأب بعد هذا الدرس القاسي إلا أن أقبل عليه فعلّمه كيف يتطهر ويصلي ، فنشأ الطفل الداعية على قيام الليل، إذ الليل مدرسة الدعاة ، وقَارَب النّجاة ، فيالها من نفوس عظيمة تربت في كنف الرعاية الربانية والاجتهاد الأبوي الصالح .

قصة عجيبة لطفل داعية معاصر

اعتاد الصبي عبد الله «ابن العشر سنوات»،وابن إمام أحد المساجد في أمستردام، أن يخرج بصحبة أبيه كلّ يوم جمعة، بعد صلاة الجمعة، ليوزع نسخة من كتاب «الطّريق إلى الجنّة» في أرجاء مدينة أمستردام في هولندا . وفي إحدى الجمع كان الطّقس عاصفا وباردا فتقاعس الأب الإمام عن الخروج بعد الصلاة لتوزيع الكتاب، ولكن ابنه عبد الله أصرّ على أن يخرج لوحده ،رغم رفض أبيه الخروج، ورغم الطّقس القارس ، شديد البرودة .

لكنّ همة الصغير كانت عالية فأمله أن يهد الله على يديه من يكون ذخرا له في صفحات حسناته يوم القيامة .

خرج عبد الله وأخذ معه عشرة نسخ من الكتيب «الطريق إلى الجنة» وبدأ التوزيع.

لم يبق معه إلاّ نسخة واحدة، اشتدّت العاصفة فأصرّ أن يطرق أحد الأبواب ليعطي صاحب البيت آخر النّسخ التي تبقّت معه، وفعلا التفت إلى إحدى الأبواب في طريقه وبدأ يطرقه بشدّة ولكن لامُجيب !! ...

فعاود ثانية طرق الباب وكأن شيئا في داخله يدفعه بشدة لمعاودة الكرة ، وطرق الباب وبقوة ، ثم عاود طرق الباب وبإصرار، فما كان من صاحبة البيت وهي عجوز في

السّبعينات رغم كبر سنها وتعثر خطواتها إلاّ أن تستجيب لقدرها الذي دفع هذا الطّارق ليحمل لها النور بيديه، والأمل في حنايا قلبه لعل الله يهديها إلى دين الرضوان، نعم ، وإذا بتلك العجوز تقف خلف الباب وعلامات الحزن الشديد تظهر على أخاديد رسمتها سنون على وجهها .

فقالت لعبد الله بماذا أستطيع أن أساعدك يا بني ؟، نظر إليها عبد الله بعينين متألقتين ، وقال لها : إنّ الله يحبّك يا جدّتي ولقد جئت كي أعطيك آخر كتيب تبقّى معي، وإنيّ لأقدّم أشدّ اعتذاري أن لو كنت قد أزعجتك، وأعطاها الكتيب، وانصرف.

ويا لَلْمُفاجأة التّي لو أضاعها الصغير كما فاتت على أبيه لكانت خسارة عظيمة ففي الأسبوع التالي وأثناء الدرس الأسبوعي للحي وذلك قبل صلاة الجمعة عادة ، وما إن انتهى الإمام من الدّرس حتى سأل المصلين، هل من سؤال أو تعقيب لأحدكم؟.

فقامت عجوز من الصفوف الخلفية ، وقالت : لا أحد يعرفني بين الجمع الكريم، وحتى الجمعة الماضية لم أكن مسلمة ، وقد مات زوجي وابني في حادث طرق وبقيت وحيدة ولم يطرق بابي أحد من الجيران ، فقررت أن انتحر، وربطت الحبل في سقف البيت، وربطت طرفه الآخر في عنقي، وهممت بالانتحار، وإذا بباب البيت يطرق وبشدّة، انتظرت قليلا كي يكفّ الطّارق عن طرق بابي ولكنّه طرق مرّة ثانية، وثالثة وبشدّة، ففككت الحبل من حول عنقي لأرى من الطّارق وإذا به صبي كالملاك مسّت كلماته قلبي وهو يقول لي: إنّ الله يحبك وأعطاني آخر كتيباته "الطّريق إلى الجنّة" وخرج في حال سبيله، فقررت أن اقرأ الكتيب قبل الرجوع لربط الحبل حول عنقي، وشعرت بأنّ هذا الصبي قد بعثه الرّبّ إليّ من السّماء لأعدل عن فكرة الانتحار ، وبعد قراءتي للكتيب شهدت : "أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله" ، وها هي أول صلاة جمعة لي في المسجد، وها أنا قد جئت إلى عنوان المركز المطبوع على ظهر الكتيب لأشكركم،

وأشكر الله لإرساله هذا الملاك الصغير إليّ كي يحميني من النّار، ويرشدني إلى طريق الجنّه، فنزل الإمام عن المنبر وتوجه إلى الصّفّ الأوّل حيث يجلس ابنه عبد الله وعانقه ودمعت كلُّ العيون وَعَلَت أصوات التكبير.

وهكـذا أنقذ الله هـذه العجوز على يد هذا الطفل الداعية الصغير بعد أن كادت تموت على الكفر لولا لطف الله .

فيـا أيهـا الأب الكـريم ويا أيتهـا الأم الفاضلـة احرصا كل الحرص على تربية أولادكـم تربيـة صالحة يطبقون من خلالها مبـادئ الدين ، ويتحملون فيهـا أعباء تبليغ رسالـة الإسلام إلى الأنام ، فلا تغفلا أن تربطـا كل حركة في حياتهم بالإشارة فيها إلى الأمانـة العظيمـة وماينتظرنا من فوز كبـير إن حملناها بصدق وبلغناهـا العالمين ، فكم نفوس ظامئة إلى الهدى تنتظر سقياك من ذكر الرحمن ، وكم من صغار وكبار يرجونك طرق قلوبهم وإخراجها من الظلمات إلى النور فهلم ياصغيري لتكون في ركب الدعاة إلى الله ، فلقد كان أمثالك في ركب النبي ﷺ يحملون مصابيح النور والهدى من أمثال علي وأسامـة بن زيد والحسن والحسين وابن عباس وغيرهم كثـير ممن أناروا دروب الحياة للسّالكـين ، فأثابهـم الله الرضى الأبدي الـذي لايزول ولايحول، وفقنـي الله وإياك أيها الداعية، الكبير في مهمته، الصغير في بنيته .

خاتمة نسأل الله حسنها

إن الدعوة إلى الله سبيل كل مسلم على وجه الأرض ، سواء كان كبيرا أم صغيرا، ذكرا أو أنثى ، ويزداد العبء على أهل التربية والتعليم تجاه تخريج الدعاة من الصغار ، الذين يرسمون خطى الدعوة في قابل الأيام ، « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين «.

فالدّعوة تحتاج إلى تخطيط منهجي دقيق تتكاتف فيه جهود المخلصين من أجل بناء صرح الدعوة عاليا ، لايمسه تخرّص الخراصين ، ولاانتحال المبطلين ، ولاتجاوز الغالين المفرطين ، وعلى الآباء والأمهات أن يَعُوا خطورة المرحلة التي تعيشها الأمة وليشعروا بمسؤولياتهم نحو دينهم فيُرَبُّو أبناءهم على حبّ التّضحية والاحتساب من أجل نصرة دينهم ، والله الهادي إلى الصواب .

فهرس الموضوعات

١. بين يدي الإصدار ٧
٢. مقدمة..... ٩
٣. فضل الدعوة إلى الله تعالى ١١
٤. نماذج من الأطفال الدعاة..... ١٤
٥. يوسف الصديق داعية صدق ١٤
٦. غلام داعية يُحيِ الله به شعبا ١٥
٧. العبر والعظات من قصة الغلام ١٨
٨. عصر النبوة وتربية الأطفال على الدعوة والجهاد .....
٩. الطموح إلى الدعوة والجهاد..... ٢١
١٠. الطفل الداعية الذي صدّقه الله تعالى ٢١
١١. الطفل الداعية لسانٌ لِلْحَقِّ ٢٣
١٢. الطّفل الداعية نتاج تربية أم صالحة ٢٣
١٣. السَّرِّي السَّقَطِي يُؤثِّر في معلمه ٢٤
١٤. الفتاة الداعية تراقب الله تعالى..... ٢٥
١٥. الطفل الداعية يقوم اللّيل ويتدبر القرءان ٢٧
١٦. قصة عجيبة لطفل داعية معاصر ٢٨
١٧. خاتمة نسأل الله حسنها ٣١